

سلسلةُ : وُصُولُ التَّهَانِي بِتَفْرِيعِ أَشْرَطَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي (8)

كَلِمَةٌ

**فِي الاسْتِعْدَادِ لِلْآخِرَةِ
وخطرُ الكذبِ
عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ**

للشيخ /

محمد بن هادي المدخلي

- حفظه الله -

المُدْرَسُ فِي الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ

(أَلْقَاهَا لَيْلَةَ السَّبْتِ 11 / رَيْبِعِ الْآخِرِ / 1439 هـ)

فِي مَسْجِدِ بَدْرِي الْعَيْبِي - رَحِمَهُ اللَّهُ -

بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ

(نسخة مخرجة الأحاديث)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله ، وأصحابه ، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد .

فلا شكَّ عند كلِّ عاقلٍ أنَّه عن هذه الدنيا راحل ، وعلى الله قادم ، وسوف ينظرُ أمامه فلن يجدَ إلا ما قدَّم ، وعن يمينه فلن يجدَ إلا ما قدَّم ، وعن شماله فلن يجدَ إلا ما قدَّم ، قال عليه الصلاة والسلام بعد ذلك : " فاتقوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ " ¹ .

أيها الإخوة الكرام : هذه الدار دارُ ممر ، لا دارُ مقر ، ومن علم ذلك علم اليقين وعين اليقين ؛ فإنه سيُحسن الاستعداد لرحيله ، ويهيئُ منزله ، ومن لم يُوفق لذلك أخذَ على غِرَّةٍ وبعثة ، ولات ساعة مندم ، وإذا نظر المسلم في كتاب الله - جل وعلا - ، وفي سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - رأى في هذا الجانب عجباً من الآيات المُحذِّرة من الركون إلى الدنيا والانخداع بها ، وهكذا في سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - . وأهل العلم أكثر الناس حظاً في هذا الباب ، وطلبة العلم كذلك ، ولكن لماذا لا نرى هذا في آثارنا ؟
الجواب : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: 14] .

إذا علت الذنوب القلوب وغشَّتْها ، فإنها تكون عن الآخرة قد أعتمتْها ، ولم تُعد لأخراها ، وألهمتْها دُنياها .
ويا عجباً لنا : نقرأ القرآن وكأننا لا نقرأه ، نَتَّقِمُ المحارم وكأنها ليست بشيء ، وتوثم على المآثم وكأنها ليست بشيء ، ونُحْجِمُ عن المغامم إما جهلاً ، وإما غفلةً ، وإما انخداعاً وغروراً ، والله جل وعلا - قد

¹ مرواه البخاري في " صحيحه " برقم (1413) ، ومسلم في " صحيحه " برقم (1016) .

خاطبنا بقوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: 185] .

وقال : ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ [فاطر: 5] .

أغرنا من الله أن أمد لنا وأمهنا ؟

أغرنا من الله أن متعنا في الحياة ، وعافانا ؟ فأنسانا ذلك الآخرة .

أخلاق متضعة ، أعمال - نسأل الله اللطف والستر والعفو والمسامحة - ، تلبس بلباس أهل التقوى ، والله أعلم بأحوالنا ، تظاهر بمظاهر أهل العلم ، والله أعلم بأحوالنا ، تزين بأشكال طلبة العلم ، والله أعلم بأحوالنا .

من أقبح الخصال وأكذبها التي ظهرت الآن في كثير من طلبة العلم : الكذب - عياداً بالله من ذلك - .

أفلا يستحي هؤلاء من الله ؟

أفلا يستحون من الوقوف بين يدي الله ؟

إذا لم يخشوا الفضيحة في الدنيا فإن الفضيحة خلفهم في الآخرة .

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيلة

من كان يخلق ما يقول فحيلتي فيه قليلة

لا يكذب المرء إلا من مهاتته ، أو من دناءته ، أو قلة الأدب .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: 119] . كأننا لا نقرأ هذه الآيات !

"إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ"،¹

واللفظ الآخر: "وإنَّ الكَذِبَ فُجُورٌ، وإنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ
" - أو الكَذِبَ - " حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا "².

أفلا يستحي من ينتسب إلى العلم من الكذب ؟

أفلا يستحي طلبة العلم الذين ينتسبون إلى العلم من الكذب ؟

أفلا نستحي أن نتظاهر بلباس العلم ؟ ونحن على غير ذلك .

أفلا نستحي من الله - جل وعلا - ؟ عالم السرائر والخفيات .

ها أتم اختفيتم من الناس ، أين تذهبون من الله - جل وعلا - ؟

قال الله - جل وعلا - عن قوم: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى
مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: 108] .

أخلاق يترفع عنها عامة أهل الإسلام ، فكيف بطلبة العلم الذين يتظاهرون بالطلب ، ويمارسون هذه الأخلاق
المشينة ، أنستهم حياتهم أخراهم .

الكذب حبله قصير ، والصدق حبله لا ينقطع ، ولا ينتهي ، الكذب مهواة ، وإن ظننته منجاة ، والصدق
منجاة ، وإن ظننته مهواة ، الكذاب لص ؛ اللص يسرق مالك ، والكذاب يسرق عقلك ، لكن يوشك أن

¹ مرواه البخاري في "صحيحه" برقم (6094)، ومسلم في "صحيحه" برقم (2607) .

² مرواه مسلم في "صحيحه" برقم (2607) .

ينكشف السارق، ويظهر المسروق، ويرجع إلى صاحبه، وإن لم يكشف في الدنيا ففي الآخرة :

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين:6].

أيها الإخوة في الله :

إن الواجب علينا جميعاً أن نكون كما قال الله - سبحانه وتعالى - مخاطباً قوماً أنكر عليهم :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:2-3].

الواجب علينا أن نتبع القول بالعمل، **فإن الأعمال دلائل صدق الأقوال**، وأما الأقوال مجردة فهي دعاوى، فإذا لم يبرى من صاحب الدعوى دليل قام المنادي ينادي على الملائم بكذبه .

فيا -عشر الأجابة- :

الواجب علينا أن نتبع عن هذه الأخلاق الدنيئة، ولنعلم أنها هذه الدنيا دنيئة، وأنا مهما عشنا فيها فإننا منتقلون عنها، ومهما طالت الأعمار فيها فإننا متحولون عنها، وإذا كان كذلك فلنعد الجواب للوقوف بين يدي

الله -جل وعلا- ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [فاطر:5].

والقول يحتاج إلى فعل :

إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً فُطِنًا . . . طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَةَ

نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا . . . أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحْيِ سَكْنًا

جَعَلُوهَا لِحْجَةً وَاتَّخَذُوا . . . صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُنُنًا

هذه الدار لا تبقى على شان ، من رفعته خفضته :

رأيتُ بني الدنيا إذا ما سمّوا بها . . . هوت بهم الدنيا على قدر ما سمّوا

على قدر ما ترتفع بالكذب ، ويقدر ما ترتفع من البهرج الديوي المزخرف على قدر ما يكون قوة الهوي

والسقوط :

رأيتُ بني الدنيا إذا ما سمّوا بها . . . هوت بهم الدنيا على قدر ما سمّوا

هذه الدنيا سرورها يعقبها حُزن ، ويُسرُّها يعقبه عسر ، ورجحها يعقبها خسر ، وكما لها يعقبه نقص ، فهل من

مدِّكر ؟ إن من ادَّكر أصلح حاله ، والتزم في دنياه بالسعي في ما يُصلح أخراه .

أيها الأحبة :

إنَّ العلم النافع هو الذي يُورثُ صاحبه العمل الصالح ، ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ

عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ [التوبة: 33] الآية .

فالهدى هو العلم النافع : " مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْعِلْمِ " ¹ .

فالهدى هو العلم النافع ، ودين الحق هو العمل الصالح .

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: 110] .

فلتق الله - معشر الأحبة - ولُنَجِمِلْ في الطلب ، ولنعلم أن الموت قريبٌ منا ، وليس بيننا وبين أن ندخل الجنة

أو النار إلا أن نموت ، والموت أدنى إلينا من الشراك في نعل أحدنا في رجله .

¹ مرواه البخاري في " صحيحه " برقم (79) ، ومسلم في " صحيحه " برقم (2282) .

قد حُفَّتِ الجِنَّةُ بِالْمَكَارِهِ . . . والنَّارُ بِالَّذِي النُّفُوسُ تُشْتَهِي

مَعَ أَنْ كِلَا مِنْهُمَا إِلَيْنَا . . . أَدْنَى مِنَ الشِّرَاكِ فِي نَعْلِنَا

وَكُلُّ أَمْرِي مُصَبِّحٌ فِي أَهْلِهِ . . . وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنَ شِرَاكِ نَعْلِهِ

فالموت قريب، وليس بيننا وبين الآخرة إلا أن نموت، والموفق من وفقه الله للعمل، والحازم من أصلح ما بينه وبين الله، ومن أصلح ما بينه وبين الله أظهره الله، وإن استر بعمله، وقذف له القبول في قلوب العباد، ومن خاتل الله ومكر مكر الله به، ومن خادع الله خدعه الله .

﴿ وَمَكْرُؤًا وَمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: 54] .

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال: 30] .

﴿ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ * فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَا هُمْ وَقَوْمَهُمْ

أَجْمَعِينَ ﴾ [النمل: 50-51] .

فمن يمكر يمكر الله به، ومن يخدع يخدعه الله - جل وعلا -، فتحلوا بهذا الدين ظاهراً وباطناً، فعلياً أن يصلح ما بيننا وبين الله يصلح الله ما بيننا وبين خلقه .

وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْعَبْدَ مِمَّا تَظَاهَرُ بَغَيْرَ مَا هُوَ عَلَيْهِ حَقِيقَةُ فَضْحَةِ اللَّهِ - جَل وَعَلَا - .

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴾ [محمد: 29] .

بلى والله، والله ليخرجنها الله - جل وعلا - ويكشفهم، ويهتك سرائرهم، وقد فضحهم الله لنبيه - صلى

الله عليه وسلم -، وقد قال فيهم: ﴿ وَتَعْرِفْتُهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾ [محمد: 30] .

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ . في الإشارة بالقول ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ .

أعمالهم المخزية ، التي يبيتونها لرسوله - صلى الله عليه وسلم - من التآمر عليه ، والكيد له ، والمكر به .
﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30].

مكروا فمكر الله بهم ، فمن يمكر بالمؤمنين يمكر الله - جل وعلا - به ، ومن يخدع المؤمنين يخدعه الله - جل وعلا - ، فالحذر الحذر - معشر الأحبة - من أن تتزيا بهذه الأخلاق وأن نركن إلى الدنيا ، وأن نغفل عن يوم القيامة ، وعن فجأة الموت ، فحينئذ : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ﴾ [سبأ: 51] ، ما عاد في كلام .

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ [الأنعام: 61] .

فأين الذهاب من الله إذا بغت الأجل ولم نستعد بصالح العمل ، أين ؟

أيها الإخوة : والله لا ينفع البهرج في هذه الدنيا ، ولا ينفعك كثرة الناس في هذه الدنيا ، ولا المال ، ولا الحشم ، ولا الخدم ، ولا الأنصار وكثرة النصرة من الخلق في هذه الدنيا ، إذا لم تكن على الخير والهدى ، فإن العاقبة تكشف للناس يوم القيامة .

فلنحسِن ولنثقِ الله - جل وعلا - ، ولا يكن علمنا حجة علينا ، كما ذمَّ الله به قوماً من كان قبلنا ، لم يعملوا بما آتاهم الله ، فشبههم الله - جل وعلا - بأخس المخلوقات ، وذلك في قوله :

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْإِصْحَارِ إِذْ أُسْفِرُوا﴾ [الجمعة: 5] ، يحمل الأسفار على ظهره لا يستفيد منها .

واعلموا أنه ليس العلم بكثرة الرواية والكتب ، ولكن العلم هو الذي يُتبع بالأعمال ، وتُصدّقه الأعمال ، وإن قلت الرواية والكتب ، فما أكثر الكتب عندنا ، وما أقل العمل عندنا ، - نسأل الله اللطف والمسامحة - .
وما أقل الكتب عند أهل الخير والتقوى ، وما أكثر العمل عندهم .

فلا تغرنكم - معشر الأحبة - هذه الحياة الدنيا ، ﴿وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [فاطر: 5] .

فاتقوا الله - سبحانه وتعالى - ، وانظروا ما تقدمون به ، وتقدم به جميعاً على الله - سبحانه وتعالى - ،

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: 9] ، ويكشف ما في الضمائر ، يبعث ما في القبور ، ويحصل ما في الصدور ، إن ربنا - سبحانه وتعالى - بعباده لخبير بصير .

أيها الإخوة في الله :

من كانت قلوبهم حية فهي التي تستفيد ، ومن لم تكن فنعوذ بالله من هذه القلوب ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37] .

أسأل الله - سبحانه وتعالى - بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يمنّ علينا وعليكم بالعمل الصالح ، الذي هو ثمرة العلم النافع .

كما أسأله - سبحانه وتعالى - أن يسترنا وإياكم بستره الجميل في الدنيا والآخرة ، وأن لا يهتك عنا ستره ، إنه جواد كريم .

وصلّى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله ، نبينا محمد ، وعلى آله ، وأصحابه ، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .